تغير هاذه الدار وقد كان بعض مشايخي وكان ممن كان له الزهد والعلم وكان يعمل في حايطه له
بيده بعد ما كان ينطلق من التدريس وربما يكون مع التدريس على مجاهدة ولا يدع العمل بالمسحاة
ويقول غرس غيرنا واكلنا نحن ونحن نغرس وياكل غيرنا انتظار حكمة الله وعند استواء غرسه
توفي رحمه الله تعالى ونرجع الى الوجوه التي عارضنا من تلك الوجوه المذكورة والانفصال عنهما
فاما الوجه الاول وهو كونه يستغني بالتكسب عن الناس فيعارضه الكتاب والسنة فاما الكتاب
فقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله واما السنة فحاله هو صلى الله عليه
وسلم تسليما وحال اهل الصفة وكان صلى الله عليه وسلم تسليما اقرهم على حالهم وربما كان يوثرهم
في بعض المرار على غيرهم والانفصال عن المعارض اما على الكتاب فيكون معنى قوله تعالى لا تلهيهم
اي لا تشغلهم بما يكونون فيه من التكسب يكونون في عمل التسبب بالابدان والقلوب متعلقة بالذي
وضعهم في السبب ان سبب نزولها كان في خياط وحداد وكان الخياط اذا سمع الاذان وهو قد ادخل
الابرة من الثوب لم يردها حتى يقوم ويودي ما عليه من الواجب وان كان قد اخرجها من الثوب لم يرجعها
ايضا حتى يقوم لما عليه وكذلك الحداد لو كان رفع المطرقة فلم يكن يعيدها على ضرب الحديدة بل
كان يرميها من يده ولو كان قد ضرب بها لم يكن ليرفعها حتى يقوم لقضاء ما عليه من وظيفة الوقت
ويتنبه على هذا من الفقه ان المطلوب من العبد شغل خاطره بما هو اليه ساع وعليه قادم وان كان
يده في سببه وغيره وقد اخبرني بعض المباركين انه كان بمدينة افريقية حفانا يحتش للحمامات
وكان من اكابر الاولياء وقيل انه كان يعمل ذلك الشغل بعدما يفرغ من صلاة الصبح الى غدوة من
النهار ثم يزيل تلك الثياب ويدخل الحمام فيتطهر ويلبس ثيابا اخرى وياخذ ذلك الكسب الذي
اكتسب الا الشيء اليسير ويمشي على الفقراء المتعبدين والمساكين ويوثرهم به ويطوي يومه
عليهم الى الليل ويفطر على ذلك الشيء اليسير الذي حبس منه له الاحوال الرفيعة وكان لا يعرف
الا اهل الكشف لانه كان يخفي حاله عن الناس واما الانفصال عن حاله صلى الله عليه وسلم تسليما
وحال الاهل

١٢٧

١٢٦

ثلاثة ايام من شدة الجوع والمجاهدة ولا يتسبب في الزاد ولا ينظر اليه السادس عشر
فيه دليل على ان المرء اذا خرج لتعبده ان يعلم اهله ومن يلوذ به بموضعه لان النبي صلى الله عليه وسلم
تسليما كان يخرج الى الغار واهله يعلمون بموضعه وماذا يريد بخروجه والحكمة في ذلك من وجوه
الوجه الاول انه معرض هو واهله لما يطرأ عليهم من الامراض وغيرها من الاعراض فاذا كان
للاهل علم بموضعه علموا الى اين يذهبون اليه اذا طرا شيء من ذلك الثاني ان في اخبار الاهل
ادخال سرور عليهم وازالة الوسواس عنهم لانهم يتوقعون مسيره الى مواضع مختلفة
ممكنة فاعلامه لهم بذلك ازالة لما ذكرناه وادخال السرور عليهم لكونهم يعلمون انه
منقطع للتعبد ومشتغل به وفي ادخال السرور من الاجر والثواب ما قد علم الثالث ما في
ذلك من الدعوة للاهل والاخوان للتعبد وان كان لم يطلب ذلك منهم لان الغالب من
النفوس الانبعاث لما ينكرون عليه من الامور الرابع ان من عرف انه منقطع للتعبد وهو
مشتغل به فان اراد محبته فيحبه على ما هو بسبيله من غير ان يدخل عليه خللا في طريقه ومن اراد
غير ذلك لم يصحبه فاستراح منه وزال عنه ما يلحقه من التشويش في مخالطته الوجه السابع
عشر فيه دليل على ان الشغل اليسير الضروري لا يكون قاطعا للعبادة لانها اخبرتنا انه عليه
الصلاة والسلام كان يخرج الى التعبد الليالي العديدة ولم تذكر ذلك في رجوعه الى اهله
فدل على ان ذلك الضد للكثير وهو اليسير واليسير مع الكثير في حكم التبع ثم رجوعه ثانيا الى
التعبد دال على تعلق قلبه بالعبادة مادام في الضرورة التي خرج اليها فهو تعبد مستمر
ومثل ذلك المعتكف يخرج لحاجة الانسان وشراء القوت وحرمة الاعتكاف عليه ولم يحكم له
بالابانة معتكف متوجه وان كان يتصرف في ما ذكرناه يشهد لما قررناه قوله عليه
الصلاة والسلام سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وذكر فيهم رجل قلبه
متعلق بالمساجد فلم يضره خروجه عنها لتعلق قلبه بها واجزل الله تعالى له هذا الخير
العظيم ولاجل هذا المعنى اتخذ اهل الصوفة في عمارة قلوبهم بالحضور والادب على اني

Copyright © King Saud University